الفن عند فريدريش شيلر بوصفه نقدا ونضالا وتحررا

Friedrich Schiller's Art as a Criticism, Struggle and Liberation

قروم مسعودة ✶[1]،

[1] جامعة أبو القاسم سعد الله جامعة الجزائر 2، الجزائر، messaoudamessaouda86@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/04 تاريخ القبول: 2020/05/29 تاريخ النشر: 2020/06/28

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية البعد الجمالي في تحرير الإنسان من الحضارة القمعية بأبعادها المختلفة، عند الفيلسوف الألماني **فريدريش شيلر** الذي اعتبر الفن نقدا وثورة على السياق الحضاري الغربي المنحرف عن قيم الأنوار، وذلك من خلال أعماله الأدبية والفلسفية. ليتوصل إلى أنّ حلّ الأزمة الحضارية يكون في إطار جمالي تحرري.

الكلمات المفتاحية: فريدريش شيلر؛ التربية الجمالية؛ اللعب؛ البعد الجمالي؛ الحضارة.

Abstract:

This study aims to demonstrate the importance of the aesthetic dimension in liberating mankind from a repressive civilization in its various dimensions, studied by the German philosopher Friedrich Schiller, who considered art as a criticism and a revolution in the Western cultural context deviated from the values of lights. And through his literary and philosophical works. To conclude that the solution to the civilizational crisis is within a liberal aesthetic framework.

Keywords: Friedrich Schiller; Aesthetic education; Play; Aesthetic dimension; Civilization.

✶ **المؤلف المرسل: قروم مسعودة،** messaoudamessaouda86@gmail.com

1.مقدمة:

حظي علم الجمال Esthétique في سياق الدراسات الألمانية باهتمام خاص حتى عرف بأنه علم ألماني بامتياز. ولم يعرف الاستقلال الذاتي عن نظريات المعرفة والخير ومجال السلوك الأخلاقي إلا مع الفيلسوف الألماني **بومغارتن** Alexander Baumgarten (1714–1762)، وبهذا صار لعلم الجمال فضاءه الجمالي المستقل. فترسخ مفهوم الجمال كعلم وازدادت الدراسات حوله، خاصة مع الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط** (1724–1804) Emmanuel Kant وكتابه الهام في تاريخ الجمالية "**نقد ملكة الحكم** Critique Of Judgment (1790).

وساعدت حركة التنوير التي ظهرت في أوربا خلال عصر الأنوار L'âge de lumières على استقلال علم الجمال، هذه الحركة التي تحوّلت لاحقا إلى فلسفة عرفت بفلسفة التنوير التي تعتبر عنوانا عاما للفكر الأوربي في القرن الثامن عشر. ولعل من أهم المسائل التي ظهرت بشكل بارز في ظلّ هذا التطور تحول الآلة العظيمة (العقل) التي أنتجت فلسفة **كانط** وفلسفة التنوير إلى مجرد آلة صماء عاجزة عن الفهم وعن النقد الموضوعي للواقع وللمجتمع في آن واحد، فلا هو ارتقى إلى مستوى العقلنة ولا هو حافظ على معناه التقليدي الذاتي، من هنا اختلت المعادلة بين العقل والواقع والذات المفكرة للإنسان. وبرزت المشكلة الحضارية التي نتجت عن عقلانية عصر التنوير والتي عجزت عن توحيد ماشُتت عناصره وبدلا من أن تقيم نظاما اجتماعيا جديدا عملت على خلق تفاوت كبير بين الطبقات وفصلت بين الفرد والإنسان المثالي، كما أنها كرّست للاستغلال والجشع ومجّدت المنفعة التي أصبحت كل قوى الإنسان ومواهبه ضحية لها. هذا ما أدى إلى تردي المجتمع وتشيؤ الإنسان، وبرزت صعوبة إيجاد الوسيلة الأفضل للانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة الأخلاقية والانتقال من الضرورة إلى الحرية .

من هذا المنطلق يعتبر **فريدريش شيلر** Johan Friedrich Von Schiller (1759-1805) من الفلاسفة الذين حاولوا إيجاد حل لهذه الأزمة الحضارية في إطار جمالي.
هذا ما يدفعنا إلى معالجة الإشكالية الآتية: كيف يمكن للجمالية الشيلرية تجاوز المشكلة الحضارية؟

2. ركائز فلسفة شيلر الجمالية : (الفن ، اللعب ، التربية الجمالية)

يعتبر الفيلسوف الألماني **فريدريش شيلر**، فيلسوف العبقرية المزدوجة فقد حاول أن يجمع بين عبقرية **كانط** في الفلسفة -من خلال دراسته للثالوث النقدي الكانطي- وعبقرية **غوته**(1749-1832) Johann Wolfgang von Goethe في نظرته الشعرية للكون. كما أنه اهتم بفلسفة الحضارة من خلال دراسته لتاريخ بـ عض البلدان واطلاعه على تاريخ الحضارات واهتم بكتابات **روسو**(1712-1778) Jean-Jacques Rousseau في الحضارة، ممّا جعله مواكبا للمشكلات السياسية لعصره لتصبح المشكلة الجمالية عنده ذات صلة قوية بالمشكلة السياسية، وارتبطت أيضا القضايا الأخلاقية بالقضايا السياسية.

وفي بداية تكوينه العلمي تأثر بأستاذه الطبيب والذي أصبح فيما بعد أستاذ للفلسفة **أبل** (1751-1829) Jacob Friedrich Von Abel، هذا الأخير الذي كان يرى بأن الفلسفة لها أهمية كبيرة في حياتنا حيث إنها تعمل على زيادة حظنا من السعادة، وهذا ماساهم في توجيه ميول **شيلر** لدراسة الفلسفة. كما أن هذا التأثير العلمي لأستاذه يصاحبه لاحقا في دراسته الجمالية، ففي رسالته المسماة ب "**رسالة في العلاقة بين الطبيعة الحيوانية للإنسان وطبيعته الروحية** (1780) أكّد على وجود قوّة متوسطة وهي الروح العصبية ويتم من خلالها انتقال الروح إلى المادة ولها قدرة على إعادة توازن الإنسان وتحقق له في النهاية الوحدة والانسجام. وهذا ما يوظفه في فلسفته الجمالية حيث أكد على القوة المتوسطة للجمال في

تحقيق التوازن بين الحياة والأخلاق أو بين الطبيعة والصورة. لنستشف من كل هذا النزعة التأليفية التوفيقية في الفكري الشيلري (الفلسفة، الأدب، النزعة البيولوجية). انعكست هذه الأمور مجتمعة في كتبه الفلسفية والأدبية وخاصة المسرحية منها.

وقد حظي الجمال باهتمام **شيلر** وكان موضوعا مركزيا في كل أعماله الفلسفية والأدبية، نظرا للدور القيادي الذي تزعمه في تاريخ العالم وباعتباره أكبر العوامل في الكمال البشري. من هذا المنطلق يمكننا أن نتساءل، عن ماهية الفن عنده وكيف يساهم اللعب في تحقيق الانسجام بين قوى الإنسان وملكاته، ومن جهة أخرى بين الإنسان وعالمه؟ وماهي التربية الجمالية التي أفرد لها كتابا موسوما "**رسائل في التربية الجمالية للإنسان**(1794) Lettres sur l’éducation esthétique de l'homme ؟

ففي عمله المشهور **الشعر الساذج والشعر العاطفي** (1796) la poésie naïve et sentimentale حاول معالجة إشكالية هامة تمحورت حول ماهية الفن وهل مازال مسموحا في الحداثة ؟ اعتبر فيه أن الإنسان لم يستطع أن يحقق الانسجام والتكامل بين الإنسان وعالمه فأصبح منذ ولوجه عالم الحداثة التي تزامنت مع عصر التنوير، يعيش في وضعية مزرية ومن هذا المنطلق أصبح الشاعر يبحث عن تحقيق الوحدة والانسجام [1].

يقول **شيلر** مبينا أصل الجميل ومنشئه :"**وهكذا قد رأينا أصل الجميل أو منشئه بين تفاعل القوتين الدافعتين المتغايرتين ومن توحد مبدأين مختلفين، وهو ذلك الجميل الذي يجب وبالتالي أن يبحث عن أنموذجه الأعلى في أكثر مظاهر الوحدة اكتمالا وإمكانا وفي معادلة التوازن مابين الواقع والصورة أو الشكل... إن الفن وحده هو الذي يمنحنا متعة لا تفرض جهدا مسبقا لتحصيلها ولا تكلف تضحيات ولا تطلب ثمنا لها في التوبة**"[2].

يفرق **شيلر** بين نوعين من الشعر: الشعر الساذج والشعر العاطفي يعكس الأول الطبيعة نفسها في جزء معين أو مرحلة محددة .إنه يعبر بشكل عفوي عن البشرية المتجانسة

حيث لا يتم فصل الحساسية والطبيعة .أما الشعر العاطفي فإنه يعبر عن الشوق للمثل العليا فالشاعر يسعى للطبيعة الضائعة[3].

إنّ الإنسانية التي عبر عنها الشاعر الساذج لا تزال في حدود الطبيعة التي لم ينفصل عنها الإنسان بعد، إنه ثابت وتتراجع عن حدودها عندما يحرر الإنسان نفسه من الطبيعة ويصوغ وِفقها علامة حريته وقانونه الأخلاقي. فنحن نتحرك من الطبيعة البشرية التي لا تزال مرتبطة بشكل أو بآخر بالعالم المحسوس وفن التقليد إلى الطبيعة الحقيقية أو الإنسان الحقيقي أو الإنسان الذي يتم تشكيله عن طريق الفن أو فنون الحضارة وذلك بفضل القوة الخلاقة لحرية الإنسان التي تسعى لتمثيل أو لتقريب المثالي[4].

من خلال الطرح السابق نستشف التأثير المشترك للتشاؤم الثقافي **لروسو** والتفاؤل العقلي **لكانط.** وبهذا فمهمة الفنان تتمثل في الحفاظ على كرامة الإنسان وهذا ما يدافع عنه حتى نهاية حياته. والإنسان السعيد هو الذي يعادل تقريبا الروح الجميلة يقودها شعور جميل ممثل العقل في العالم الحسي.

إن الفن هو مرحلة توسطية بين المادة والصورة ولأهميته حَمَّله **شيلر** عدة وظائف هامة أهمها : الحرية والتوازن الكلي للنفس، وتجاوز المشكلة الحضارية. وفي هذا السياق يقول : "**إن الحرية هي وعي الذات بوجودها المستقل الغير معتمد على غيرها وبهذا يكون الجمال ممارسة للكشف عن طبيعة وحقيقة وجود الذات**" [5].

انطلاقًا من هذا الاعتبار، لا يمكن أن يكون الفن الحديث وفقا لحالة الإنسان المعاصر فنا للسامي، ومن هنا تظهر الحاجة إلى التربية الجمالية التي تعتبر أداة لتحقيق الحرية. من هذا المنطلق تظهر أهمية عمل **شيلر** الفلسفي "**رسائل في التربية الجمالية للإنسان**" فهي نص جمالي للعمل الفني والفلسفي ومن جهة أخرى هي وثيقة تؤكد الجهود

المبذولة للبحث وتطوير الأدلة على أهمية الفلسفة الطبيعية[6]. وتضمنت هذه الرسائل الجمالية السيكولوجية نظرية اللعب، بوصفها عنصرا تأليفيا توفيقيا، ومفهوما أساسيا للأنثروبولوجية الإنسانية.

وأكدت التربية الجمالية للإنسان على حدثين رئيسيين هما: قراءة في كتاب **نقد ملكة الحكم**، والثورة الفرنسية La Révolution française. حيث أثبتت هذه الأخيرة أن العقل وحده غير قادر على تثقيف الجنس البشري؛ يقول **شيلر** في إحدى رسائله مبينا النتائج السلبية للثورة الفرنسية:" **كان لدي آمال كبيرة للفرنسيين بالنتيجة السعيدة لحربهم، يمكن أن يمنحهم شعور قوتهم زخما أخلاقيا جديدا وستتوقف الفضائع التي كانت نتيجة ضعفهم ويأسهم. ولكن للأسف تحدث فضائع جديدة الآن بسبب التمجيد والجحود والانتقام من الخاسرين والأنانية**[7].

وتحتوي **رسائل في التربية الجمالية للإنسان** على لوحة من العصر الحديث، حيث يستخدم فيها صفة modern للدلالة على حضارته ولكنه في الغالب يستخدم « neuer plus récent » بمعنى الأحدث للإشارة إلى الإنسانية والحضارة المعاصرة التي تنبأ بأزماتها. وإلى جانب ذلك، توجد غريزتان تتقاسمان الإنسان وتتجاذبانه:

1-الغريزة الحسية: تضع الإنسان في حدود الزمان وتحوّله إلى مادة، إنها غريزة تعيق اكتماله لأنها تحبسه إلى العالم الحسي كلما حاول التطلع إلى اللامتناهي.

2-غريزة التصور أو غريزة تمثل التصور: غاية هذه الغريزة هي جعل كل واقعي أبديا وضروريا وتريد الخير والحق[8].

يعتبر التناقض هو السمة البارزة بين الغريزتين فالأولى تريد التغير والثانية تريد الثبات. فهل يمكن تحقيق الوحدة في ظلّ هذا التناقض؟ من هما يبرز دور غريزة اللعب في تحقيق التوازن . إنّ لكل غريزة مجالها الخاص وبالتالي لايمكنها التصادم إلا إذا تجاوزت كل

واحدة منهما مجالها الخاص، من هنا يبرز دور الثقافة في تأكيد الالتزام . فالتزام كل غريزة بحدودها لا يمكن أن يحقق الإنسان المكتمل غير أن تدخل عنصر اللعب سيجعل تعايش وتفاعل الغريزتين أمرا ممكنا(9).

إنّ التناقض بين الغريزتين هو مصدر تقدم، يمكن لكليات الإنسان أن تتقدم فقط عن طريق التخلي عن الكل ودخول الصراع مع بعضها البعض، فالصراع يجبرهم على نشر كل قدراتهم فالتخصص الذي هو خطأ للفرد يقود النوع إلى الحقيقة. ومع ذلك يعلن العقل أن البشرية ستكون مثالية وسعيدة فقط من خلال زراعة جميع قواتها بشكل متناغم(10).

فكيف يمكننا حل الصراع بين الطبيعة التي تميل إلى التقدم من خلال تضحية الكلي ومطالب العقل التي تحاول إنقاذ المجموع ؟ كيف يمكن أن تبدأ مرة أخرى المعجزة اليونانية التي تستند إلى الوئام أو الشراكة بين الطبيعة والثقافة؟

إن الحل يكون في الفن، فالفن هو الإنسان، وهو النشاط الذي يرتفع فيه الإنسان فوق الشهوات ويحدد الغريزة ولكنه في الوقت نفسه يظلّ في المجال الحساس، ولا يصب أبدا في التجريد والنفعية، يصالح قوى الإنسان المجزأ كما يصالح طبيعته الحساسة وطبيعته المعقولة.

في هذا إشارة إلى ثورية الفن: **الفن والثورة** Art et révolution عنوان قدمه **ريشارد فاغنر**(1813–1883) Richard Wagner في واحدة من المعاهدات التي كتبها خلال منفاه في زيورخ Zurich. إنّ حل الأزمة حسب **شيلر** و**فاغنر** لا يقتصر على الجماليات وحدها، ولا على الفرد فقط بل يقدم **شيلر** التربية الجمالية امتدادا لحل الأزمة(11).

تهدف التربية الجمالية إذا إلى إزالة الاضطراب الداخلي واستعادة المجمل البشري من الأفراد. كما أنها أيضا شرط لاستعادة المجتمع أو حتى الوصول إلى الدولة إلى أعلى درجة لها من الكمال.

3.علاقة الفن بالسياسة والتحرر:

.1.3. الترتيب الثلاثي لمراحل تطور البشرية :

إنّ المتأمّل لرسائل **شيلر** الجمالية يجد بأنها منذ البداية تطرح المشكلة السياسية. ويعتبر بأن الجماليات يمكن من خلالها حل الأزمة السياسية فالجمال يقود الإنسان إلى العقل والحرية. ويقدم في الرسائل العشرة الأولى تحليلا لعصره ليبين الحاجة إلى عملية تعليمية تؤدي إلى الحرية الإنسانية والمشكلة تكمن في تحويل الدولة التي تحكمها القوة إلى دولة بحكم العقل. وفي هذا السياق يقول :"**وهكذا نرى روح العصر تتردد بين الشذوذ والوحشية وبين الطبيعة والطبيعة الخالصة ، وبين الخرافة والشك الأخلاقي**"[12].

ومن أجل تحقيق ذلك يجب مقاومة طغيان الإحساس والقصور العقلي اللذين يؤديان إلى الهمجية ويجعلان الرجل البربري تدمر المبادئ مشاعره.

يرى **شيلر** أن البشرية تتأرجح بين الوحشية والهمجية ويجب على الإنسان أن يبحث عن حل يحافظ فيه على اتزان مثالي بين الشهوانية وطبيعته العقلانية، ولا يمكن للدولة أن تساعده والحل النهائي هو الإحساس الجمالي وحب الجمال[13]. وهذا ما يعبر عنه بقوله:"**(...) ومع ذلك إذا نظرنا باهتمام في طابع عصرنا، فإننا لا يمكن إلا أن يدهشنا من التباين الذي لوحظ بين الشكل الحالي للإ"نسانية وما كانت عليه في الماضي وخاصة الإغريق**"[14]. ومنه، فإنّ الدولة الجمالية مرحلة ضرورية في استعادة الحرية المهددة، فالطريقة الأنسب لجعل الإنسان الحسي عقلانيا هي جعله جماليًا في الأول.

تطرق في إحدى رسائله إلى تطور الإنسان من حالة الوحشية في وحدة جدلية، يميز ثلاث مراحل تمر بها الإنسانية حيث يقول:" **لنا إذن أن نميز مراحل أو أطوار ثلاثة للتطور، الذي يتعين اجتيازه أو المرور به لا على الإنسان الفرد وحده بل وأيضا على الجنس البشري كله ،(...) وحتى الترتيب الذي تتوالى فيه المراحل واحدة إثر الأخرى هو مالا يمكن للطبيعة أو للإرادة أن تعكس نظامه**" [15].

ويؤكد على حتمية هذا الترتيب الثلاثي الذي لايمكن تغييره: "**ففي الطور الفيزيائي أو الطبيعي، يكون الإنسان خاضعا لقوة الطبيعة وحدها وفي الطور الإستيطيقي ينفض الإنسان عنه القوة وفي الطور الأخلاقي يتحكم الإنسان في تلك القوة**"[16].

الطور الفيزيائي أو الطبيعي: يستند في تحليله لهذه المرحلة إلى **توماس هوبز** Thomas Hobbes (1588–1671)، ووصفه لحال الأفراد قبل إبرام العقد الاجتماعي ومرحلة نشوء الدولة، حيث يعتبر **هوبز** أن حرب الكل ضد الكل تدفع الأفراد إلى البحث عن آليات لتحقيق السلام مما يؤدي إلى التعاقد الاجتماعي. ويرجع **شيلر** أسباب الصراع في الطور الطبيعي إلى الضرورة وخضوع الإنسان لقوانين الطبيعة، إنّ غاية التعاقد الاجتماعي عند **هوبز** هي السلام أما **شيلر** فغايته الحاجة إلى المطلق وينشأ الفن الذي يهيئ الدولة ويعدلها.

الطور الإستيطيقي: إن الحاجة إلى المطلق تجعل الإنسان يتحرر من قيود الضرورة الطبيعية إلى عالم الأفكار والمثل ويدرك الإنسان اختلافه عن الطبيعة حيث يفصل العقل ذاته عن الطبيعة ويدرك اختلافه عنها هذا ما يجعله يتحرر من الضغوطات الطبيعية [17].

الطور الأخلاقي: يعود الإنسان إلى حالة الوعي ليجد نفسه داخل دولة، قذفت به إكراهات الحاجة داخل هذا الوضع، هذه الإكراهات هي الأساس في تأسيس الدولة وفقا لقوانين طبيعية فقط. إن الأساس بمقتضى حقوقه سينفصل عن هذه الضرورة العمياء من

خلال حريته، وعندما يبلغ الأشخاص طور النضج يتم تحويل دولة الطبيعة (دولة الحاجة) والتي تطلق على كل هيئة سياسية يكون تنظيمها البدئي صادرا عن قوى لا عن قوانين. إلى دولة أخلاقية (دولة العقل)، وفي هذه المرحلة يسمو الإنسان عن الطبيعة[18].

إن هذا الترتيب الثلاثي الذي قدمه لهذه الأطوار فيه تأكيد على وسطية المرحلة الاستطيقية ودورها في تحقيق التوازن بين الطورين السابقين. وهذا ما أكد عليه في جميع مؤلفاته خاصة "**اللصوص**" The Robbers و"**ويليام تل**" Guillaume Tell، حيث يمر البطل بهذه الأطوار الثلاث.

في إطار هذا السياق نستشف البعد الأنثروبولوجي وعلم النفس التجريبي حيث لا تخلو مؤلفات **شيلر** من المفردات الطبية مثل: متوسط، الخط الوسيط ، القوة المتوسطة، الكيان المختلط. وجمع بين الحاجة إلى الشعور في حالة من العاطفة، وكذلك الحاجة الأبدية للنشاط. إنّ الإحساس بالجمال هو دولة وسيطية والدولة الجمالية هي دولة الانسجام والتوازن[19].

ومن خلال هذا الطرح نجد بأن المواضيع الكبرى للنقد الشيلري، ذات صلة قوية بعالم الحضارة الحديثة ،عالم العلم والتكنولوجيا هو عالم محبط وبالتالي فإنّ المنقذ هو الفن: ففي المرحلة الأولى من التاريخ بقي هو المرشد الوحيد لإنسانية تراجعت مكانتها، ولقد استطاع الفن فقط أن يقودها من حالة الطبيعة التي تحكمها المادة والحواس ووضعها عن طريق المعرفة والأخلاق. إن الحقبة الخاصة بالإغريق كانت تمثل النفوس الجميلة âmes belles والتي تعمل جيدا من خلال الميل. ويعتبر **كلود دافيد** Claude David أن في قصيدة **شيلر آلهة اليونان** أول بيان للكلاسيكية الألمانية وبصورة أدق للإنسانية الجمالية للكلاسيكية الألمانية[20].

إنّ الفن يعمل أولا على توضيح الأخلاق وهذا من خلال نقد **شيلر** للتنوير وجعلها تمرر الرسالة بشكل أفضل، وثانيا من خلال الأعمال الفنية التي تجسّد إتحاد الطبيعة المعقولة والطبيعة الواضحة للإنسان والميل والواجب. وهذا ما يؤدي إلى مفهوم التعليم الجمالي أو التربية الجمالية.

يشيد **شيلر** في **الرسالة السادسة** باليونان العظيمة، لأن الحضارة الإغريقية لم تفصل بين العقل والحواس مثلما يحدث عند الأمم في عصرنا الحديث، ومن جهة أخرى الجانب الإنساني الذي بلغته نتيجة اهتمامها بالإنسان. وهذا مُقارنةً بالدولة الحديثة ومجتمعاتها التي دعت إلى انفصال العقل النظري عن الواقع الحسي وانعدام الصلة بين الفرد والدولة، كما أن العقل العملي أصبح غير قادر على إدراك كلية الواقع. وفي هذا الصدد يقول **شيلر** معبرا عن الحضارة اليونانية وما بلغته من تطور:" **ذلك الطراز الذي ضمّ كل خلاب جذاب في الفن وكل سام نبيل في الحكمة (...) فالإغريق يحملوننا على أن نخجل من أنفسنا ليس فقط بما كانوا عليه من بساطة هي على الضد مما عليه عصرنا الآن بل لأنهم في الوقت ذاته أنداد منافسون لنا وكثيرا مايكونون نماذج علينا أن نحتذيها**"[21].

نستشف من هذا القول التحليل الشيلري العميق للحضاري اليونانية ومبادئها ومقوماتها، وهو ما يجعله يتأثر **بالهيلينية الألمانية** hellénisme allemand والتي تعتبر ألمانيا اليونان الجديدة في العصر الحديث، مواجهة في ذلك الثقافة الرومانية والفرنسية على وجه التحديد والتي هي تقليد لروما القديمة. ويعتبر **يوهان بواكيم وينكلمان** Johan Joachim Winckelmann الداعي الأول لهذه الهيلينية من خلال كتابه "**تأمّلات في تقليد الأعمال اليونانية في الرسم والنحت**" عام 1755. Réflexions sur l'imitations des œuvres grecques en peinture et sculpture، إضافة إلى كتاب "**البساطة الثمينة والعظمة الهادئة**

Noble simplicité et calme grandeur تناول أجيال من الألمان ولخص جوهر الثقافة والفن اليوناني **ويوهان جاكوب ويليام هانز** Johan Jacob Wilhelm Heinse في كتابه "**زمن العباقرة** ". لكن **هولدرلين ونيتشه** قدما رؤية مختلفة حيث بيَّنَ **نيتشه** أن النظرة الأبولونية المتناغمة جدا تقدم صورة أفضل عن اليونان الأكثر أسطوريةً mythique، والأكثر بطولةً وديونيزيوسيةً Dionysiaque. وبقيت نظرة فينكلمان على حالها وتمثل الفكر السائد في الكلاسيكية الألمانية حتى ظهور حركة "**العاصفة والاندفاع**" Sturm und Drang والتي استأنفت الصراع بين القدماء والمعاصرين[22].

إذا هذا التمجيد الشيلري للحضارة اليونانية يدفعه إلى مقارنتها مع الحضارة الحديثة التي لم ترق لتنافس التفوّق الحضاري اليوناني، لكونها دعت إلى الانقسام والانفصال وفقدان المجموع الكلي –على مستوى الفرد (الصراع بين ملكتيْ الحس والعقل) وعلى مستوى المجتمع– الذي يترجم من خلال خيبة الأمل في العالم وتجزؤ الإنسان. ولذلك يُقدم **شيلر** في **الرسالتيْن الخامسة والسادسة** نقدا للدولة البيروقراطية الحديثة التي تميل إلى الاستبداد والشمولية. فقد تساءل في بداية رسالته **السادسة** عن وصفه الشديد لهذا العصر، وخشي أن يتم انتقاده في حرصه على هذا الوصف. ولكنه يعتبره الصورة الحقيقية للإنسانية ويرجع ذلك إلى التباين بين الشكل الحالي للإنسانية وما كانت عليه من قبل وخاصة اليونانيين، وهذا ما يدفع إلى الدهشة[23].

2.3. الطابع الإصلاحي التحرري لأعمال شيلر المسرحية:

إن البعد الدرامي الساخر **لشيلر** يحمل في دلالته وجود فجوة بين المثالية والواقع، كما أنه يقدم المسرح كبعد جمالي لتجاوز المشكلة الحضارية. ففي مقال له: " **كيف يمكن أن يكون تأثير المسرح جيدا؟** وأوضح فيه أهمية المسرح ومكانته على أساس الاستخدام الأخلاقي والاجتماعي. فقد أراد أن يحاكم تجاوزات حضارته بحاكم عادل هو المسرح. وعبر

عن ذلك في إحدى مسرحياته الهامة "**اللصوص**" :"**فرانتس شرير، تمكنت منه الرذيلة، إنه نموذج الإنسان الذي نسي عقله على حساب قلبه، ونمط المستهتر بالقيم الذي لا يقدس أي قيمة،(...) سيطرت عليه عظمة الشر**"[24].

وتأثر **شيلر** بالثورة الفرنسية تأثرا كبيرا، لتسْهِمَ في نضوجه الفكري فمن خلال الفوضى المتمثلة في **اللصوص** والحماسة الوطنية الساذجة في مؤلفه **جان دارك**، إلى الحرية المعتدلة في **فلهلم تل** Guillaume Tell. وفي هذا الساق يقول **شيلر** مشيدا بالثورة الفرنسية: "**لكن حين يقوم شعب عار عن الخبث بإرعاء قطعانه قائما بنفسه ولا يطالب بامتلاك الآخرين وحين يهز هذا الشعب النير الذي أبهظ كاهله دون أي عدل، ولكنه، حائر في غضبته، يحترم الإنسانية، ثم في السعادة والنصر يلتزم بالاعتدال ،–فإن هذا الشعب شعب خالد ويستحق أن تصاغ له قلائد المديح والغناء وهذه اللوحة هي التي قيض لي أن أقدمها فرحا إليك**"[25]. في هذا القول إشارة إلى دحض **شيلر** للقتل بعدما خلّفته الثورة الفرنسية من نتائج تهدد حقوق الإنسان وكرامته.

في عمله المسرحي الشهير"**ويليام تل**" Guillaume Tell ، كانت السمة الغالبة عليه الإشادة بالقانون والنظام والاستقرار والتآخي بين الطبقات. ففي نهاية مسرحيته جعل **بيرتا** وهي أحد شخصيات المسرحية وممثلة الأرستقراطية تطلب من الفلاحين أن يقبلوها في صفوفهم كمواطنة حرة. حيث تخاطب الفلاحين في ثنايا المسرحية قائلة:"**أيها المواطنون، أيها المتحالفون، اقبلوني في صفوفكم، أنا المرأة السعيدة الأولى التي وجدت الحماية في بلد الحرية**" [26]. كما يجعل في آخر مسرحيته **رودينتس** السيد النبيل الذي يعلن تحرير العبيد الذين كانوا يعملون في خدمته حيث يقول:" **وأنا أعلن أن عبيدي صاروا أحرار**" [27].

إنّ اهتمام **شيلر** بالمسرح، من خلال المسرحيات الهادفة التي كتبها جعله يصنف المسرح سلطةً قضائيةً. وقد ورثت السلطة القضائية للمسرح الوظيفة النفسية القديمة للدين التي كانت تهيمن على الإرادة لتحل محل السلطة القضائية والدينية. إن السلطة القضائية للمسرح تبدأ حيث ينتهي مجال القوانين الزمانية [28].

تضمنت ويليام تل قراءات سياسية وإيديولوجية ذات بعد سياسي أساسي في الأدب العالمي، وعالجت التأثير المفسد للسلطة. حاول فيها **شيلر** دراسة شخصية كل فرد فيها وحمل العمل البعد المنطقي وفقا لبدأ السببية، بالنظر لكل شخصية وكل فكرة في أهمتيها الدرامية وفقا لقانون الوعي الجمالي للمتفرج. حاول فيه تحقيق توازن مثالي بين كلياته العاطفية والفكرية للإدراك [29].

يفتتح **شيلر** عمله هذا**(ويليام تل)** بالتمثيل البصري الواسع، الذي يتجلى في صورة للطبيعة. ومن ناحية أخرى أضاف السرد من الماضي وحاول تلخيصه، ثم تليها العملية الدرامية حيث يرسم لوحة من الطبيعة من خلال غابة ريفية متناغمة مع بحيرة تبحر فيها القوارب، إلى جانب المروج الخضراء وشعاع واضح من أشعة الشمس الصافية، مع وجود أجراس القطعان والأبقار. وتحيط بها جبال عالية مغطاة بالثلوج وفي هذا السياق يقول:"**يسمع لحن البقر والرنين الانسجامي، والقمم المدببة لجبل هاكن haken محاطة بالغيوم (...) بيت ريفي بوجود قرب صياد**"[30].

إنّ المراعي التي تحيط بها الجبال المغطاة بالثلوج هي تصوير فني للفضاء الطبيعي، ويتضمن هذا الفضاء الطبيعي، الراعي والصياد–يمثلان حرفا بدائية قديمة – اللذين يغنيان في نموذج يستحضر نمط الخطابة والشعور بالجمالية التي توفرها لهما القوانين والقوى البدائية. هذا الهدوء الذي يعمّ الطبيعة سوف يتغير ويلحقه الدمار بفعل الغيوم والرماد مثلما ستتغير الطبيعة بفعل القوى التي تميزت بها الحضارة والسياسة الإمبريالية التوسعية،

القمعية الظالمة. إنّ هذه الرعود والغيوم المدمرة ترمز للعدوان البشري. كما تظهر الجبال كشهود يتجسدون رمزيا بمشهد أبدي أعلى من كل القيود والإصلاحات البشرية[31].

وفي العملية الدرامية لهذه المسرحية صمم شيلر **أغنية الجبل** La chante de la montagne، يُشَبه الجبال في تساميها بالتسامي الإلهي البعيد. فالجبال هي حراس لجميع القوى التي تخدم الحياة. كما أن الجبل هو رمز لعلاقة بطل المسرحية **تل** Tell بالوجود[32].

وشكلت مسرحية **ويليام تل** في مسار عملها هيكلا سياسيا يضمّ ثلاثة مستويات: تمثل المستوى الأول في القانون الطبيعي، والثاني في المطالب الإقطاعية للنبلاء والثالث في مطالب الفلاحين الذاتية والمتزايدة. وتصرف النبلاء مع المجتمع يشبه تصرف بعض الأشخاص مع الطبيعة، فالبعض يعتبرها صديقة لهم أما البعض الآخر يعتبرها تهديدا . كذلك النبلاء فئة تتصرف بطريقة متعاطفة وداعمة للمجتمع وفئة أخرى قمعية داحضة للمجتمع. وهذا الاختلاف يرجع إلى التباين حول تصورهم للقانون. وقد أراد **شيلر** من خلال هذا التصنيف رسم الدولة الصغيرة التي تتحدد في مقاومة القوى الإقطاعية القمعية، إنّ السكان يشعرون بالإنسانية ويعتمدون على حقوقهم المضمونة ومطالبهم بالحرية كما أن الأخلاق هي الملازمة لهم في حين أن النبلاء يريدون التفوق وإرادة التنظيم فهم سلطة دخيلة[33].

ومن بين أعماله المسرحية التي عبرت عن المشكلة السياسية وتضمنت البعد الرمزي فيها "**ماري ستيوارت**" Marie Stuart، وهي مسرحية تتكوّن من خمسة فصول وعرضت لأول مرة عام 1800. وأوضح فيها **شيلر** تقاطع المآسي التقليدية في عصره من السياسة والحب. ليؤكد من خلال ذلك على إنسانية الشخصيات، ويستثني من هذا **إليزابيث** لأن إنسانيتها غير كاملة فهي غير قادرة على الحب. على النقيض من ذلك جسّدت **ماري ستيوارت** لحظة

وفاتها إنسانية كاملة ناتجة عن جدلية المعاناة التي عانتها. ويتضمن هذا العمل المواجهة بين ملكتين تدعى الأولى **إليزابيث** Élisabeth ملكة **إنجلترا** تحمل صفات التلاعب، والقسوة، والخداع والكره. أما الملكة الثانية **ماري ستيوارت** ملكة **اسكتلندا** فهي غامضة الشخصية مما جعلها بطلة مأساوية. وتصور هذه المسرحية بذلك انعكاس قطبية الأخلاقي النفسي-éthico psychologiques[34].

يجعل **شيلر إليزابيث** الشخصية الوحيدة في المسرحية التي استطاعت أن تحقق هدفها السياسي أما بقية الشخصيات الأخرى فتحطمت في نوع من العجز الفردي ويظهر اتفاق **إليزابيث** مع قيم التنوير من خلال النفاق المحض، وتمثل **ماري ستيوارت** اللحظة التي لم يعد فيها الملك قادرا على إرضاء نفسه بالتماس اليمين الإلهي وأن يجد شرعية في ممارسة السلطة المستنيرة كما أنها تدرك ضرورة وجود سيادة على مبرر أخلاقي جديد. إنها تنطوي على الموضوعات التقليدية للتفكير السياسي مثل الحروب الأهلية ، والتآمر والإخفاء في ممارسة السلطة [35].

ويعتبر عمل **شيلر عذراء أورليان (جان دارك)** Die Jungfrau Von Orleans عملا هاما ابتعد فيه عن الحتمية التاريخية. **جان دارك** هي شخصية تاريخية لفتت انتباه الرسامين والشعراء وأدباء المسرح، وخضعت لتفسيرات عديدة حسب خلفيات وإيديولوجيات الكاتب الذي يكتب عنها[36]. حيث تقوم الفكرة العامة لهذه المسرحية على الحرية، وتتضمنُ التضحية من أجل الآخرين: ف**جان دارك** هي بطلة شعبية تدافع عن القانون والنظام وتدين الأعداء والعنف، مثلما تظهر في هذه اللوحة –والمستمدة من غلاف النص الأصلي الألماني لهذه المسرحية– فوق خشبة المسرح عيونها للأعلى تتطلعان إلى اللامتناهي، تحمل بإحدى يديها شعار الحرية ويحيط بها المواطنون. وفي هذا إشارة إلى القضية السامية التي كانت تدافع عنها **جان دارك**، إضافة إلى قيمة المسرح ومكانته النبيلة عند **شيلر**.

الشكل 1: جان دارك من رسم الفنان **جي أ.د أنجري**

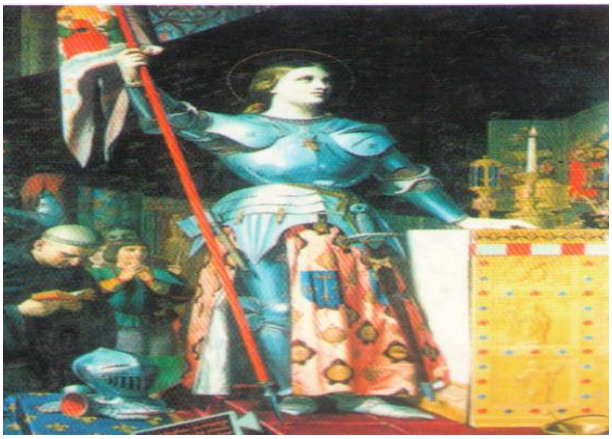

المصدر: فريدريش شيلر، عذراء أورليان، جان دارك مأساة رومانتيكية،2004 (غلاف الكتاب).

4.خاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي تناولت بالشرح والتحليل المشروع الحضاري لفيلسوف الجمال **شيلر** والتي تطرقنا فيها إلى البعد الجمالي وأهميته في التحرر، من خلال الأسس التي قامت عليها فلسفته وأعماله الأدبية وما استوعبته العلاقة بين الجمال والحقيقة. يمكننا القول بأن فلسفة **شيلر** الجمالية بأصولها التكوينية وعناصرها التأسيسية تعتبر محور معظم التحولات التي مست الجمالية وخاصة الألمانية حاولت أن تحقق التآلف بين ملكتين من ملكات الإنسان العقل والحساسية، واعتبرت اللعب عنصرا تأليفيا توفيقيا بين الملكتين.

ومن خلال هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها :

1-إنّ مشكلة الحضارة الإنسانية حسب **شيلر** تكمن في الانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة الأخلاقية بوساطة الثقافة الجمالية، وفي الانتقال من الضرورة إلى الحرية وبهذا الحرص على الأخلاق يفرض علينا الحفاظ على الوجود الاجتماعي. وتبرز الدولة التي تجعل المجتمع الطبيعي للبشر مجتمعا قضائيا.

2- بين **شيلر** أن حل الأزمة الحضارية لا يكمن في الثورة التي تقوم بها الفئات الشعبية ففي ذلك خروج عن القانون بل يتم ذلك عن طريق الفن والتربية الجمالية. ومن هنا دعا إلى ضرورة إعادة بناء المجتمع والإنسان وتحقيق التوازن بين ملكاته.

3-أكد **شيلر** على أهمية االبعد الجمالي في التحرر من خلال أعماله الفلسفية وأيضا المسرحية، فالفن هو المنقذ للبشرية عبر كل العصور.

4-تندرج أهمية أفكاره في سياق فرضيته حول الطبيعة البشرية ودراسة الكائنات الحية، التاريخ الطبيعي والفلسفة الطبيعية والطب والصلة بين العلوم الإنسانية والعلوم الأخرى.

5- أراد **شيلر** من خلال أعماله المسرحية أن يحاكم المجتمع بحاكم عادل هو المسرح، من خلال مسرحياته السابقة الذكر. وهنا تبرز مكانة المسرح في التغيير ونقد ما هو قائم، فالفنان وهو على خشبة المسرح بإمكانه أن يقول ما لم يستطع أن يفصح عنه المجتمع.

6-إنّ الثورة الجمالية عند **شيلر** هي احتجاج على الواقع، فهي نقد وتجاوز وتصدي لهيمنة الحضارة. وبهذا فالعمل الفني المستقل هو نقد للواقع وتغييره من خلال خلق صور جديدة هي بمثابة واقع إنساني آخر مغاير نوعيا لما هو قائم. إن المسألة الجمالية كفيلة بحل المشكل السياسي لأنه من خلال الجمال نعبر إلى عالم الحرية، ثم إنّ جمالية **شيلر** لقيت عدة انتقادات كونها جمالية ذات نزعة يوتوبية يصعب تحقيقها في مجتمع معقد التركيب وحضارة قمعية ذات أسس متينة.

5. الهوامش:

(1) Friedrich Schiller, De la poesie naive et sentimentale, traduit par : f. sylvain, Paris, L'Arche, 2002, p.36.

(2) فريدريش شيلر، رسائل في التربية الجمالية للإنسان، ترجمة: وفاء محمد إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص. 62.

(3)Calvin Thomas, The life and Works of Friedrich Schiller, New York, Henry Holt and company, 1904, p. 286.

(4)Gilbert Merlio, « La crise de la modernité selon Schiller », Revue germanique internationale, 22, (2004), p. 147.
URL : http://journals.openedition.org/rgi/1035

(5) فريدريش شيلر، رسائل في التربية الجمالية للإنسان، مصدر سابق، ص. 166.

(6)Gilbert Merlio, Op.cit., p.152.

(7)Jean Mondot, « Schiller et la révolution française. D'un silence l'autre », Revue germanique internationale, 22,(2004), p.91.
URL : http://journals.openedition.org/rgi/1028

(8) فريدريش شيلر، مقالات فلسفية في المسرح والشعر ومسائل تتعلق بالإستيطيقا، ترجمة: علي مصباح، بيروت، منشورات الجمل، 2017، ص.71.

(9)المصدر نفسه، ص.71.

(10)Gilbert Merlio, Op.cit., p.154.

(11)Ibid., p. 154.

(12)Friedrich Schiller, Lettres sur l'éducation esthétique de L'homme, traduit de l'allemand: Rober Leroux, Paris, édition Aubier Montaigne,1992,p.90.

(13)Ibid., p.93.

(14) فريدريش شيلر، رسائل في التربية الجمالية للإنسان ، ص.259.

(15) المصدر نفسه،ص. 259.

(16) المصدر نفسه، ص. 259.

(17) المصدر نفسه، ص ص. 37-82.

(18) فريدريش شيلر، مقالات فلسفية في المسرح والشعر ومسائل تتعلق بالإستيطيقا، ص ص. 80- 81.

(19)Carsten Zelle, Anthropologie et esthétique : les premiers écrits de Schiller sur le théâtre (1782-1784), traduit par: Elisabeth Décultot, Revue germanique internationale, 04, (2006), p.154.
http://journals.openedition.org/rgi/153

(20)Gilbert Merlio, Op.cit., p,151.

(21) فريدريش شيلر، رسائل في التربية الجمالية للإنسان ، ص166.

(22) Gilbert Merlio, Op.cit., p.146.

(23) Friedrich Schiller, Lettres sur l'éducation esthétique de L'homme, p.93.

(24) فريدريش شيلر، اللصوص، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، الكويت، وزارة الإعلام، 1981، ص. 13.

(25) فريدريش شيلر، فلهلم تل، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ، الكويت، وزارة الإعلام ،1982، ص. 22.

(26) المصدر نفسه، ص ص. 204- 205.

(27) المصدر نفسه، ص. 205.

(28) Carsten Zelle, Anthropologie et esthétique, Op.cit., pp.148-155.

(29) Peter André Block, La conception dramaturgique de Guillaume Tell. Un drame de la liberté d'une bouleversante actualité, Traduction de Roland Krebs, Revue germanique Internationale, 22, (2004), p.107.
http://journals.openedition.org/rgi/1029

(30) Gérard Laudin, Le droit ou la force. L'instrumentalisation du droit, de la recherche du bien général, de la volonté du peuple et de l'opinion publique dans "Marie Stuart", Revue germanique Internationale, 22, (2004), pp. 71- 72.
http://journals.openedition.org/rgi/1026

(31) Peter André block, la conception dramaturgique de Guillaume tell, Op.cit., p.109.

(32) Ibid., p.109.

(33) Ibid., p.110.

(34) Gérard Laudin, Le droit ou la force. L'instrumentalisation du droit, de la recherche du bien général, de la volonté du peuple et de l'opinion publique dans "Marie Stuart", Op.cit, pp. 71- 72.

(35)Ibid., pp. 74-75.

(36) فريدريش شيلر، عذراء أورليان، جان دارك مأساة رومانتيكية، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، ط1، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 2004، ص.10.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. شيلر (فريدريش)، رسائل في التربية الجمالية للإنسان، ترجمة: وفاء محمد إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991.
2. شيلر (فريدريش)، فلهلم تل، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ، الكويت، وزارة الإعلام ، 1982.
3. شيلر (فريدريش)، عذراء أورالیان، جان دارك مأساة رومانتيكية، تر: عبد الرحمان بدوي، ط.1، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 2004.
4. شيلر (فريدريش)، اللصوص، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، الكويت، وزارة الإعلام،1981.
5. شيلر (فريدريش)، مقالات فلسفية في المسرح والشعر ومسائل تتعلق بالإستيطيقا، ترجمة: علي مصباح، بيروت، منشورات الجمل، 2017.

6. Calvin. Thomas, The life and Works of Friedrich Schiller, New York, Henry Holt and company, 1904.
7. Schiller. Friedrich, De la poesie naive et sentimentale, traduit par : f. sylvain, Paris, L'Arche, 2002.
8. Schiller. Friedrich, Lettres sur l'éducation esthétique de L'homme, traduit de l'allemand: Rober Leroux, Paris, édition Aubier Montaigne, 1992.

الدوريات:

1. Bloch. Peter André , « La conception dramaturgique de Guillaume Tell. Un drame de la liberté d'une bouleversante actualité », *Revue germanique internationale*, 22 | 2004, 103-118.
2. Merlio. Gilbert , « La crise de la modernité selon Schiller », *Revue germanique internationale*, 22 | 2004, 145-160.
3. Mondot. Jean , « Schiller et la Révolution française. D'un silence, l'autre », *Revue germanique internationale*, 22 | 2004, 87-102.
4. Laudin. Gérard , « Le droit ou la force. L'instrumentalisation du droit, de la recherche du bien général, de la volonté du peuple et de l'opinion publique dans "Marie Stuart" », *Revue germanique internationale*, 22 | 2004, 71-85.
5. Zelle. Carsten , « Anthropologie et esthétique : les premiers écrits de Schiller sur le théâtre (1782-1784) », *Revue germanique internationale*, 4 | 2006, 147-160.